E- ISSN : 2571-9742

توثيق الهوية في حوض المتوسط بين الخصوصية والتحدي
نحو معجم مفهرس لعلم الأنساب(الجزائر نموذجا)

معاشو بوشمة
المركز الجامعي ميلة
glocalchou@gmail.com

تاريخ الإيداع: **2017/01/15** تاريخ القبول: **2018/03/01** تاريخ النشر: **2018/03/31**

يأتي الاهتمام بالأنساب باعتباره أهم منتج ثقافي تقليدي يهتم بنقل المعارف ومواكبة تطوراتها، وتسجيل ثقافة المجتمع ورصد مجريات التاريخ ،كما يعتبر سجلا حافلا بالمعلومات ، وهو وثيقة مكتوبة تدل على عصر إنتاجه والجماعة التي ينتمي إليها وتشكلات هويتها وطرق تصنيفها ، وقد تولدت الحاجة إلى استحداث كتابة (في فترة تاريخية محددة من بلاد المغرب العربي) ذات طبيعة متميزة ومغايرة لمدونات الأنساب القديمة والتي تراهن على خصوصية الغرب الإسلامي، تصطبغ بصبغة المحلي وتستثمر التاريخي وتتبنى روح التحدي ومقاومة الذوبان والانصهار ،يسعى البحث إلى الإجابة عن أسئلة من قبيل :هل تمكنت تلك المدونات من الإحاطة بكل ما أعلنت عنه من آمال في تسجيل وتوثيق وإحصاء الأنساب ؟ وهل صار بمقدورنا إحصاء كل تلك المادة وتسجيلها في فهرسة تقوم على إخراجها وتشجيع الباحثين على دراستها وتحقيقها ؟ .

الكلمات الدالة:
الأنساب ،توثيق، الهوية ،المتوسط، المدونة،احصاء

Abstract:

The interest in genealogies is considered as the most important cultural product that is concerned with the transfer of knowledge and keeping abreast of its developments, recording the culture of society and monitoring the course of history. It is also an informative record. It is a written document indicating the age of production, the community to which it belongs, In a specific historical period of the Maghreb countries) of a distinct and different nature to the old genealogies, which bet on the peculiarities of the Islamic West, paint in the local style, invest in history, embrace the spirit of challenge and resist melting and fusion, the search seeks to answer the questions of Bill: Have these blogs been able to take note of all the hopes expressed in recording, documenting and counting genealogy? Is it possible to count all that material and record it in a catalog based on its output and encourage researchers to study and achieve it? .

Keywords :
Genealogy, documentation, identity, medium, code, statistics

E- ISSN : 2571-9742

يحمل الخطاب المنتج في مدونة الأنساب بكل تجلياته النصية طابعا واقعيا توثيقيا ، يشتغل فيه التاريخي والجغرافي في نسق تسجيلي وتوثيقي سردي وتاريخي منسجم يساهم في بناء دلالات الهوية، وتمرير قيم متشابكة حول الوجود والتملك وتاريخ القبيلة وطرق تصنيفها وتنظيمها .لإعادة بناء الوقائع واستيعاب التمثلات ، فهو نص تسجيلي تاريخي يحمل مقومات التاريخ والسيرة الذاتية والترجمة الشخصية ، يتكئ على القصة التاريخية في دوافعه، يعكس نماذج من الرحلة وتنقل القبيلة و بعض أفرادها، يشتمل على العجائبي والأسطوري والرمزي ، يستند على الوقائع التاريخية من منظور فردي وبرؤية القبيلة ، يستخدم التاريخ والقص التاريخي والأحداث والوصف والمكان والزمان ، وكلها تعتبر مقومات التاريخ والهوية بكل تمثلاتها في مختلف تجلياتها.

يأتي الاهتمام بالأنساب باعتباره أهم منتج ثقافي تقليدي يهتم بنقل المعارف ومواكبة تطوراتها، وتسجيل ثقافة المجتمع ورصد مجريات التاريخ من منظور المساهمين فيه ،كما يعتبر سجلا حافلا بالمعلومات ، وهو وثيقة مكتوبة تدل على عصر إنتاجه والجماعة التي ينتمي إليها وكيفية تقاربها ولغة تواصلها وتفاعل أفرادها وتشكلات هويتها وطرق تصنيفها ، الأمر الذي رشحه لان يكون الوسيلة الكفيلة بنقل الثقافة وتأدية ادوار تواصلية وابلا غية معرفية وتثقيفية.

تولدت الحاجة إلى استحداث كتابة (في فترة تاريخية محددة من بلاد المغرب العربي) ذات طبيعة متميزة ومغايرة لمدونات الأنساب القديمة والتي تراهن على خصوصية الغرب الإسلامي، تصطبغ بصبغة المحلي وتستثمر التاريخي وتتبنى روح التحدي ومقاومة الذوبان والانصهار تروم المساءلة المنطقية لهذا الخطاب المنتج باعتباره خطاب معرفي ثقافي وباعتباره رؤية للعالم ولهوية والتحديات التي تطرح أمامها ،من أجل مقاومة الذوبان والزوال والتشتت ، وفي نفس الوقت يحتوي دلالات تتولد عن تسنين ثقافي: فهل تمكنت تلك المدونات من الإحاطة بكل ما أعلنت عنه من آمال في تسجيل وتوثيق وإحصاء الأنساب ؟

وهل صار بمقدورنا إحصاء كل تلك المادة وتسجيلها في فهرسة تقوم على إخراجها وتشجيع الباحثين على دراستها وتحقيقها ؟ تقودنا تلك الإشكاليات إلى نتائج عن طريق الاستعانة بمنهج **إحصائي وصفي** يركز على **جوانب الدقة المنهجية والأصالة العلمية في التوثيق** من منطلق: غاية كل كتابة من هذا المجال هو دقتها وصحة المعلومات المذكورة ومضانها ،لتسهيل الوصول إليها من أجل دراستها .

E- ISSN : 2571-9742

من هذا المنطلق ظهرت حركة علمية تهتم بالبحث عن المخطوط وتفتش في مضانه، لتكشف عن نفائس المخطوطات المعروفة والمجهولة والمفقودة، ولم تكن المسيرة العلمية الجزائرية بعيدة عن تلك الحركة العلمية الدؤوبة، وخاصة وأن المخطوط الجزائري قد تلاعبت به أيدي الحدثان، المستعمر وتعمده طمس الهوية الثقافية والعلمية من جهة ، ثم إهمال الأبناء لتراث الأجداد من جانب آخر.

وسعيا وراء الكشف عن هذا التراث المفقود بعضه ، والمغبور أو المتواجد متفرقا مجهولا بين أيدي بعض الناس والخزائن هنا وهناك بعضه الآخر.علما أن المرحلة تتطلب تكثيف الجهود لبعث هذا التراث والتعريف به ، وقد دأبت المجلات العلمية الجامعية بمختلف توجهاتها على بذل الوسع والجهد لانجاز هذه المهمة ، وتحقيق هذا الهدف، آخذين في عين الاعتبار أن الكثير من التراث الجزائري لا يزال في حاجة إلى اكتشاف أولا و تعريف ثانيا ، ثم تحقيق في مرحلة تالية.

مدونة الأنساب الجزائرية بين الخصوصية والمحلية:

تتمثل أهمية التراث(المكتوب) في كونه ينقل العلوم ويواكب تطوراتها، و يعتبر سجلا لثقافة المجتمع ويرصد مجريات التاريخ، كما يعتبر سجلا حافلا بالمعلومات وسير الأحداث وهو وثيقة مكتوبة تدل على العصر والجماعة التي ينتمي إليها وكيفية تقاربها وتواصلها وتفاعل أفرادها كما يعطي تفاصيل متفاوتة الحجم والكيف عن المجتمع ،والهوية المشكلة له بصفة عامة.

ويأتي هذا البحث لإزالة اللبس والخلط والسرقة الفكرية التي طالت التراث وكشف حجب الإهمال في أخرى ،كون التراث الجزائري ظل مجهولا (بعضه) بسبب الإهمال وعدم تشمير السواعد للكشف عنه ، وجزء آخر منه نسب إلى غير أصحابه بدون دليل بقصد أو بغير قصد ، أما الباقي (الضائع والذي في حكم المفقود) ظل المشجب الذي تعلق عليه الدراسات الضعيفة والفاشلة إخفاقاتها. ولا مفر من أن تتكاتف وتتكثف الجهود لبعثه وإحيائه من جديد.

تتميز مدونة الأنساب الشفهية و المكتوبة في حوض المتوسط خاصة في العهدين العثماني والاستعماري ، بخصوصية مرحلية وأخرى محلية فرضتها الظروف التاريخية ، والاعتبارات السياسية والجغرافية، ينبغي الإشارة إليها وتبيين دورها في طريقة تسجيل وصياغة الأنساب ، وكيفية توثيق الهوية وتصنيفها ، حيث تفرض التحديات التي تواجه الهوية ، إنتاج خطاب حول الهوية يتميز بالخصوصية في لغته ومصطلحاته ، يشدد على جملة من السنن والرسائل ويمررها في قوالب متميزة

E- ISSN : 2571-9742

تواكب وتتماشى مع الثقافة المحلية ، وتسهل تداولها وانتشارها. ومما ينبغي توضيحه في هذا السياق هو جملة العناصر المكونة لهذه الخصوصية والتي تتوزع على محورين هما :

أ- **المحور السياسي** : ويشمل توجه السلطات المختلفة نحو تأدية الدور التسجيلي والتوثيقي للأنساب. ويشمل القبائل المنتمية للدولة أو المخزن بالولاء والحلف أو الانتماء. والذي فرض نوع من الكتابة الرسمية في السجلات والدواوين والصحائف المنبثقة عن المحاكم الشرعية .

ب- **المحور الجغرافي والمطلب الشعبي**: الذي يفرض خصوصية في مجال تسجيل الأنساب في حالات الشتات والمناطق المهمشة والبعيدة ، والتي تقع خارج مجال السلطة ،وتشمل عناصر الشتات والفئات الصغرى ،الأمر الذي ولد كتابات فرعية من جرائد ورقع وكتابات جلدية ، ومشجرات خاصة . ظلت متداولة حتى صارت في الكثير من الأحيان مصدرا لتوثيق الهوية اعتمدها الكثير من الكتاب.

الجدير بالذكر أن كل هذه المدونات ظلت تتقاسم عوامل مشتركة من حيث دواعي كتابتها، وأسلوبها وفي مصطلحاتها ،الذي ولدته الخصوصية والمرحلة ،وتتمثل في :

– خصوصية جغرافية تمثل الامتداد والشساعة ، والجبال الممتدة .التي صاحبتها كثافة في العنصر البشري .

– خصوصية عرقية في تنوعها وتعددها والتي تشمل العنصر البربري والعربي والشاوي والتركي والقرغلي والترقي والفارسي والزنجي .

– خصوصية لغوية ترجع أساسا إلى امتزاج تلك اللغات وتوليدها لنسق تفكير متميز ، فرض لغة كتابة وخطاب موجه لتلقي مرحلي وسياق محلي خاص.

– مصطلح خاص يختلف اختلافا شبه كامل عن مصطلحات الأنساب التقليدية والمشرقية ،خاصة في مجالي: تصنيف القبائل وتسميتها .

– خصوصية محلية تأخذ في عين الاعتبار الأسماء والخصائص الطبيعية للمناطق المتبدلة من جهة إلى أخرى.

من بين الأمثلة التي تساق للتدليل على هذا الإخفاق والإهمال ،هو ما نشره الزركلي في الأعلام عن مؤلفات أبي راس الناصري سواء كان المعسكري أو الجربي وهما من نفس الجيل ،إلا أنه ينسب بعض مؤلفات أبي راس المعسكري لابي راس الجربي ،وطبع الكتاب مرارا ويعتبر مصدرا مهما في التراجم ، ولم يهتم أحد بتصحيح ذلك أو الإشارة إليه، كما ينسب الدكتور حسين مؤنس كتاب

E- ISSN : 2571-9742
DM

المعاوضات لعبد الواحد المراكشي ، بينما هو للشريف التلمساني كما في البستان والابتهاج، وغيرها من الكتب المجهولة التي ينبغي الكشف عنها وتصحيح ما التبس منها على المؤلفين والباحثين.

وينقسم التراث المجهول من حيث نسبته إلى غير مؤلفه أو من حيث فقدانه وضياعه، وجهل مضانه أو الجهل بوجوده أصلا إلى أصناف

– صنف من الكتب كتب بأقلام جزائرية ونسب إلى غير أصحابه ،كما سنرى.

– صنف يعد مجهولا ومفقودا وهو نوعان: الأول لا يعلم بوجوده أصلا ،والثاني يعلم مؤلفه ولكن لا توجد إلا إشارات باهتة حوله مبثوثة هنا وهناك.

التراث الجزائري المنسوب لغير مؤلفه:

ينسب الزركلي في كتابه الأعلام مؤلفات أبي راس الناصري لأبي راس الجربي حيث يقول في ترجمته:هو محمد (ابو راس) بن أحمد بن ناصر، من حفدة قاسم بو راس الهذلي الجربي الناصري: مؤرخ نسبته إلى جزيرة جربة من بلاد تونس. تفقه ورحل إلى تونس والحجاز ومصر.ونظم قصيدة في فتح وهران (سنة 1207) على يد الباي محمد بن عثمان، وشرحها في كتاب سماه (عجائب الأسفار) وصنف (مؤنس الاحبة في أخبار جربة – ط) صغير، و (الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية – ط) قصيدة ترجمت إلى الفرنسية، في رسالة، و (زهرة في علم النسب والتاريخ – خ) في الرباط (923 ك) و (رحلتي ونحلتي – خ) يظهر أن ابن سودة اطلع عليه وقال: إنه تكلم فيه على رحلاته المتعددة ووصف مدينة فاس وصفا كافيا وكانت رحلته إلى المغرب سنة 1218 وهو غير (أبي رأس) محمد بن أحمد المعسكري[1].

وهذه الكتب هي في الحقيقة لأبي راس الناصري لعدة أسباب أن أبي راس لما عدد كتبه في فتح الاله ومنته ذكرها فهي ليست منسوبة له من طرف غيره وهذه الكتب هي:

الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية[2] والكتاب نشر بتحقيق الأستاذة سليمة بن عمر عن دار صنين للطباعة والنشر بعنوان فرعي (الخبر المعرب عن الامر المغرب الحال بالأندلس وثغور المغرب) ،وكتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار وقد حقق من طرف محمد غانم عن منشورات المركز الوطني للبحث في الانثروبولجيا الاجتماعية والثقافية بوهران.ورحلة: حلتي ونحلتي في تعدد رحلتي[3]. وكتاب زهرة الشماريخ في علم التاريخ[4].قال المؤلف تكلمت فيه مع ابن خلدون وغيره.

ثانيا: محمد مخلوف لما ترجم للجربي لم يذكر له تلك الكتب وهو ابن بلده وأعرف به من غيره.

E- ISSN : 2571-9742
DM

ثالثا: نسبة هذه الكتب للجربي انفرد بها الزركلي وحده دون غيره ممن كتب في التراجم وفهارس الكتب والمخطوطات.وإنما نسبها غيره كلها لأبي راس الناصري المعسكري.

فهرس أولي لمدونة الأنساب في الجزائر:

جدير بالذكر ان مدونة الأنساب في الجزائر ،وإن كان بعضها معروف ،وحقق جزء يسير جدا منها ،فأغلبها مفقود ومجهول ، إلا أن عددها لا يستهان به ويستحق البحث والدراسة والتحقيق. من نافلة القول التأكيد على أنه لم تكتب يد جزائرية أو بحث علمي رسين حول فهرس لمدونات الأنساب ، على غرار ما كتبه ابن سودة في دليل مؤرخ المغرب الذي أفرد فصلا خاصا لمدونة الأنساب المغربية ، رغم ما يمكن أن يؤخذ عليه من ملاحظات وتصويبات ، ويحدونا طموح لكتابة فهرس علمي دقيق حول مدونات الأنساب في الجزائر ، هذا نموذج أولي عنه:

– **بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الانوار أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار**(ينظر)تأليف محمد بن احمد الصباغ القلعي.

– **بغية الطالب في ذكر الكواكب** تأليف عيسى بن موسى التجيني

– **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر**[2]تأليف عبد القادربن عبد الله المشرفي.

– **تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد**[3] تأليف أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ابن قنفذ القسنطيني. قال في وصفه: وهو غريب

– **تقييد في الشرفاء العمرانيين**[4] تأليف محمد بن إبراهيم المهري البجائي الأصولي.

– **الدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية**[5] تأليف محمد بن علي السنوسي الخطابي.

– **رحلة القبائل الجبلية**[6] تأليف العربي ابي حامد بن عبد القادر بن علي المشرفي.

– **رسالة في نسب سيدي نايل**[7] تأليف محمد بن عبد الرحمن الديسي.

– **روضة الأزهار في التعريف بأل النبي المختار** تأليف محمد بن علي الشريف التلمساني.نسبه له غير واحد ومنه نسخ بين أيدي بعض العائلات لدي منها نسخة مصورة عبارة عن شرح وتلخيص للكتاب.

E- ISSN : 2571-9742
DM

– **زهرة الأخبار في التعريف بأنساب بيت النبي المختار**: تأليف أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني قال ابن سودة "..طبع على الحروف بفاس سنة 1930 والذي يظهر من نسق كتابته أنه لغيره .تكلم فيه على نسب الشرفاء بالمغرب[8].وقد بخس الكتاب فائدته بقوله –المغرب– انما عرف بكثير من قبائل الجزائر أيضا.انظر تعليقنا على هذه المنهجية في رد كل شيئ الى المغرب.

– **سادة أهل غريس الموسومين بالمشارف**[9] تأليف محمد بن عبد الرحمن التلمساني القاضي.

– **سبيكة العقيان فيمن في مستغانم من الأعيان**[10] تأليف محمد بن قدار بن الجيلاني (محمد بن حواء).

– **شذور الذهب في محض محقق النسب**[11] تأليف محمد بن علي السنوسي الخطابي.

– **شرح العقد النفيس في ذكر الأعيان وأولياء غريس** [12]تأليف محمد أبي راس الناصري المعسكري .

– **شرح الجمان للشيخ عبد الرحمن**[13] تأليف محمد أبي راس الناصري المعسكري.

– **فتح الرحمن في ذكر شرف بني زيان وذكر فروعهم إلى هذا الزمان** تأليف محمد أبي راس الناصري المعسكري [14].

– **فتح الجواد في الفرق بين آل زيان وآل عبد الواد وذكر ملوكهم** تأليف محمد أبي راس الناصري المعسكري [ين يه].

– **القول الاعم في نسب قبائل الحشم** تأليف الطيب بن المختار الغريسي نشر ضمن مجموع الحسب والنسب لهاشمي بن بكار.

– **القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط** تأليف أحمد بن عبد الرحمن الشقراني المعسكري.

– **عجائب الاسفار ولطائف الاخبار** تأليف محمد أبي راس الناصري المعسكري وقد حقق من طرف محمد غانم عن منشورات المركز الوطني للبحث في الانثروبولجيا الاجتماعية والثقافية.

– **لب أفياخي في عدة أشياخي** [16]تأليف محمد أبي راس الناصري المعسكري .

– **لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان** تأليف محمد أبي راس الناصري المعسكري[17] .

E- ISSN : 2571-9742
DM

– **مروج الذهب في نبذة من النسب ومن انتمى إلى الشرف وذهب**[18] تأليف محمد أبي راس الناصري المعسكري .

– **مجموع الحسب والنسب** تأليف الهاشمي بن بكار.

– **مختصر بغية الطلاب في علم الأنساب**[19] تأليف محمد بن علي السنوسي الخطابي.

– **ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة** تأليف العربي ابي حامد بن عبد القادر بن علي المشرفي(مخطوط).

– **الوسائل إلى معرفة القبائل**[20] تأليف محمد أبي راس الناصري المعسكري.

لا يقتصر الفهرس المقترح المادة المعروفة وفقط بل ينبغي أن يوسع ليشمل كل المواد التي كتبها أعلام الجزائر ورؤية الأخر للأنساب في الجزائر والترجمات والدراسات التي شملت مدونة الأنساب ، وحري بنا القول أن جمع هذه المدونة وتدويناه وإخراجها ووضعها بين يدي الباحثين كفيل بتحقيق دراسات حول الهوية في المتوسط في مختلف الحقب ، بما يمكن من فهم الشخصية الجزائرية والمتوسطية وإيجاد حلول لمختلف أزماتها .

الإحالات:

[1] – معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض مؤسسة نويهض الثقافية ،بيروت لبنان .1989 ، ص–316.

[2] – حققه محمد بن عبد الكريم ونشره كما نشر مترجما الى الفرنسية في المجلة الافريقية سنة 1925.

[3] – معجم أعلام الجزائر ، ص–268.

[4] – نفسه ، ص–19.

[5] – نفسه ، ص–179.

[6] – المرجع السابق ، ص– 304.

[7]- تعريف الخلف برجال السلف ،ابي القاسم الحفناوي ،دار موفم للنشر .1989،(ج242/2).ومعجم أعلام الجزائر،ص– 143.

[8] – دليل مؤرخ المغرب ابن سودة المري 68.

[9] – ذكره هلالي في مصادر دراسته وتحقيقه للدر النثير لمحمد المخلوفي.

E- ISSN : 2571-9742

[10] – معجم أعلام الجزائر ،ص–298.

[11] – نفسه ،ص–180.

[12] - فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ،محمد ابي راس الناصري ،تحقيق محمد بن عبد الكريم ،المؤسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1989ص–180.

[13] – نفسه ،ص–180.

[14] – الحلل السندسية ، تحقيق سليمة بن عمر ، دار صنين للطباعة والنشر ،الجزائر 1986. ص–56.

[15] – نفسه ،ص–56.

[16] – فتح الاله،ص–180.

[17] – الحلل السندسية ،ص–56.

[18] – فتح الاله،ص–180.

[19] – معجم أعلام الجزائر،ص–180.

[20] – فتح الاله ، ص–180.